قيامُ الليل، وما أدراكم ما قيام الليل،لِمَ له كل هذه الأهمية والمكانة؟!، قيام الليل فيه الاتباع لرسول الله ﷺ، وفيه التَّزكية «إنَّ لك عندنا قدراً ما لم ترَ لنفسك قدراً»[1]، وفيه تعزيز قوانين المجاهدة (مخالفة الهوى، الدوام على محبوبات الله، التحكم في المباحات)، وفيه ترسيخ أعمدة التزكية (الاستعانة، الذكر، الصلاة، التفكُّر، القرآن)، وكلُّها متحققةٌ في التهجد والقيام.

إنَّ التهجدُ هو أعظمِ عملٍ تربويٍّ يُربِّي المسلم به نفسه، ويُرجى لمن لازمه ألا يقع في أودية الفتن، زيادةً على ما فيه من التربية على المعالي، وتصفية العقل، والتربية في الخفاء.

إنَّ قيام الليل له علاقةٌ وطيدةٌ بالرشاد وتجويد القرارات للأمير والمُكلَّف بمهام ثقيلة ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: 5]، ومن استعان بالقول الثقيل خفَّف الله عنه كلَّ ثقل، والعلاقة وطيدةٌ كذلك بين قيام التهجد والمطالب العالية التي لها علاقة بعلو الدين ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: 79]، لأجل ما سبق فُرض التهجد قبل الصلاة باثنتي عشرة سنة، وتربَّى جيلُ التأسيس والناس نيام، ثم انطلق لينشر الإسلام في أرجاء الدنيا بين الأنام.

تأمَّل أنَّ أولَ خطابٍ سياسيٍّ في المدينة كان يَحتوي على قيام الليل، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لِأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَبَنْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ، فَكَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ)[2].

(1) من كلام الحارث المحاسبي. انظر: حطِّم صنمك لمجدي الهلالي، ص119.

(2) سنن ابن ماجه، حديث رقم 1334.